

تجاهل شيوخ الفن في مصر: نكران جميل أم تجديد دماء؟

تعطل قدماء الممثلين بسبب تراجع الإنتاج الفني لا علاقة له بكبر السن



الفنان عبدالرحمن أبوزهرة يستنكر الجحود

التجاهل والنبيذ يزداد لدى الإنسان مع التقدم في السن، خاصة في المجتمعات التي لا تحتفي بعطاء السابقين وتكتم شيوخ كل مهنة بشكل لا تائق. وتشدّد على أن القضية تتجاوز لدى بعض كبار السن فكرة العمل من أجل العمل، وإنما تسعى إلى اعتبار العمل بحثاً عن التكريم والاحتراف الغائب في ظل عدم الظهور، وهنا فالمتقدم في السن في أي مجال لو حصل على ما يستحق لما سعى إلى المطالبة بحقه في العمل أو الشكوى من التجاهل.

هناك أسباب أخرى تراها الناقدة الفنية حنان أبو الضياء وراء إحساس شيوخ الفن بالتجاهل والنبيذ، حيث تؤكد لـ"العرب"، أن حجم الأعمال الفنية سواء في السينما أو الدراما نفسها انخفض بشكل كبير خلال السنوات العشر الأخيرة مقارنة بما سبقها.

تراجع الإنتاج

وتذكر أن هناك ممثلين كثيرين من جيلي الشباب والوسط لا تسند إليهم أي أدوار، ليس بسبب تعمد تجاهلهم، وإنما لقلة الأعمال الفنية. الأمر هنا يتجاوز قضية الأجيال، ويمتد إلى مشكلات عديدة ومتنوعة تحاصر صناعة السينما والدراما منذ عدة سنوات. وتذكر أبو الضياء، أن إحصاء عدد المسلسلات والأفلام التي يتم إنتاجها سنوياً يكشف حجم التراجع الكبير، إذ يكفي معرفة أن مصر أنتجت 33 فيلماً فقط خلال 2019 وهو نصف عدد الأفلام المنتجة قبل سنتين عاماً، وفي سنة 1986 كان عدد الأفلام المنتجة 96 فيلماً.

وتضيف أن جانباً من الأمر يتمثل في صعوبة قيام أي من شركات الإنتاج الفني بالاعتماد على ممثل من الشيوخ وحده لبطولة فيلم أو مسلسل ما، لأن ذوق المشاهدين نفسه تغير، ولم يعد ممكناً أن يقوم فنان واحد مثل محمود مرسى ببطولة مسلسل مثل "أبو العلاء البشري"، وهو يؤدي فيه دور الجد.

وقالت لـ"العرب"، إن رأي الفنانة ليلى عز العرب، لا يوجد تجاهل متعمد للفنانين القدامى، وإنما هناك بعض الأدوار المناسبة لممثلين قد لا تتناسب مع آخرين.

وقالت لـ"العرب"، إنها تؤمن دوماً بأن هناك فرصة للتألق الفني، وكان هناك ممثلون عديدون أكثر إبداعاً في أعمار متقدمة.

من وجهة نظر نفسية، ثمة شعور دائم لدى الفنانين بالتجاهل والتهميش من جانب الأجيال التالية، والأمر لا يقتصر على الفنانين أو المبدعين وإنما يمتد إلى كافة المهنة.

وتؤكد منى هاشم الخبيرة في علم النفس السلوكي لـ"العرب"، أن الشعور بتعمد

ثمة مراحل عديدة يصل فيها الإبداع إلى ذروته، أولاً خلال فترة العشرينات، والثانيها منتصف الخمسينات، والأخيرة في ما بعد دون سن محددة. يشير البعض من النقاد، إلى أن التجرد والتطور أمر عفوي يتم إدراكه بمجرد انصراف الجمهور عن نجم ما، وهو أمر محتمل وكثير الحدوث، وأن شركات الإنتاج الفني ليست مؤسسات رعاية اجتماعية وإنما كيانات تبحث عن الربح، ما يدفعها إلى العناية القصوى بكل دور مطلوب.

وفي الغالب، فإن أدوار كبار السن في السيناريوهات المكتوبة حديثاً محدودة للغاية، ونادراً ما يحوزون فيها البطولة، كما أن أذواق الجمهور تتغير وتتبدل، والكثير من النجوم الذين كانوا نجوماً في وقت ما فقدوا بريقهم في وقت تال.

ويؤكد سيناريست مصري، اعتذر عن ذكر اسمه استشارة للخرج، لـ"العرب"، أن هناك أزمة حقيقية في الاستعانة بالنجوم الكبار من الفنانين في أدوار ثانوية، تتمثل في إصرارهم على التدخل في شؤون أخرى تتجاوز أداء أدوارهم، مثل قيامهم بتقييم أدوار ممثلين شباب وربما لومهم، أو محاولة توجيه المخرجين والتعامل بتعال شديد مع من حولهم، فضلاً عن إصرار بعضهم على المغالاة في تحديد أجورهم، استناداً إلى تاريخهم الفني الطويل.

حنان أبو الضياء
الأمر يتجاوز قضية الأجيال ليتمدد إلى مشكلات إنتاجية أعقد

ويوضح أن معظم الطواقم الفنية في الدراما من الشباب تشعر بالخرج في أن تطلب من ممثل قديم إعادة مشهد ما أو توجيهه لتحسين أدائه، ما يجعل الحل الأمثل يتمثل في تقليل الاستعانة بقدماء الفنانين قدر الإمكان، أو اللجوء إلى ممثلي الصف الثاني والثالث، في حال الضرورة. ويشير إلى أن المنطق التجاري البسيط يؤكد أن شركات الإنتاج لا يمكن أن تستغني عن ممثل أو مبدع ما زال قادراً على جذب الجماهير بعطائه.

وفي تصوّرهم، فإن كل ممثل لديه ثروة كبيرة من الجمهور تكبر معه، والتفريط في أي ممثل صاحب جمهور يمثل تفريطاً في الجمهور نفسه، وهو أفضل من الرهان على بناء جمهور جديد لوجه حديث لم يتم اختباره بعد، ويرون أن الفنان الحقيقي قادر على العطاء حتى اليوم الأخير من حياته.

ليلى عز العرب
هناك بعض الأدوار المناسبة لممثلين قد لا تتناسب مع آخرين

في ذلك السياق يؤكد الكاتب الصحافي المصري عباس الطرابيلي، أن فن التمثيل بشكل خاص ليس وظيفة تقليدية تخضع لقواعد وشروط غيرها من الأعمال، وأن السن تحديداً لا تشكل حاجزاً ضد الإبداع.

ويقول في تصريحات خاصة لـ"العرب" إن تعدد إهمال جيل الممثلين الكبار يتجاوز في تأثيره البعد الاجتماعي الخاص بتوقف العائدات المادية لهم في سن يحتاجون فيها إلى قدر أكبر من الإنفاق، إلى بعد آخر معنوي يتمثل في الشعور بعدم الوفاء واللامبالاة أو التهمز تجاه كبار السن، ما يمثل إشكالية نفسية تضرب بمسيرة الفن والفنانين عموماً. وفي رأيه، تعدد الظاهرة حديثة على عالم الفن في مصر، فقد سبق وأن عاصر شخصياً فنانين كثراً ظلوا في حقل التمثيل إلى ما بعد التسعين، منهم على سبيل المثال الفنان المصري الراحل عبدالوارث عسر، والذي عاش 98 عاماً وظل يمثل حتى أيامه الأخيرة.

ويلفت الطرابيلي إلى أن بعض الفنانين العظام قدّموا في شيوخهم أدواراً أهم وأكثر تألقاً من أدوارهم التي سبق وأن قدّموها وهم في ريعان شبابهم.

ويتفق ذلك مع دراسة حديثة نشرتها جامعة واشنطن وأعدتها مجموعة من الباحثين في مجال الابتكار بقيادة بروس وينبرغ، خلصت إلى أن الفكرة السائدة لدى الناس بأن ارتباط الإبداع بالشباب غير صحيحة.

وأكدت الدراسة من خلال بحوث أجريت على مجموعة من المبتكرين أن

ويوسف شعبان، وأحمد خليل، وغيرهم، ما بات أشبه بظاهرة خاصة تلتصق بالإنتاج الفني في الوقت الحالي. وأوضح يوسف أن السينما العالمية تحتفي بالممثلين القدامى وتقدرهم حتى لو تجاوزت أعمارهم التسعين عاماً.

وتحمل تلك القضية صوراً ذا شقين متعكسين، الأول يتمثل في أن قيم الوفاء تقتضي احترام المبدعين الكبار الذين طالما امتعوا الناس، ورد الجميل لهم ومساندتهم في سنوات شيوخهم والاستعانة بهم بالقدر الأمثل، والاستفادة من خبراتهم، وعدم إحالتهم إلى التقاعد الإجباري.

أما الشق الثاني، فيتعلق بضرورة إفساح المجال لوجوه جديدة حتى لو كانت تقدم أدواراً لإيحاء وأجداداً لجيل فرصها في التحقق، وتجديد الدماء، والتوافق مع تغير أذواق الجمهور.

خبرات يجب استغلالها

يرى أنصار تشغيل قدماء الفنانين، واستمرار حضورهم في الأعمال الفنية لا الأعمال الفنية في السينما والدراما أن يمكن أن تخلو من أدوار تمثل كبار السن، لأنه يفترض أن تنقل تلك الأعمال الواقع المعيش في الحياة، بما فيه من أطفال وشباب وكهول وشيوخ. ويشيرون إلى أن شيوخ الفن لديهم خبرات متراكمة لا يمكن نقلها إلى الأجيال الجديدة من الفنانين والفنانات، إلا من خلال الاحتكاك المباشر عند المشاركة في التمثيل.



حسن يوسف: تجاهل الفنانين الكبار بات متعمداً من قبل بعض المنتجين

هل يعترف المجال الفني بسن للتقاعد؟ وهل لا بد للفنان أن يستكين في عمر محدد إلى الراحة؟ أم أن الإبداع لا يعوقه الكبر؟ أسئلة طرحت مؤخراً في الوسط الفني المصري بعد تجاهل صنّاع الدراما لعدد من الممثلين المكرّسين، وامتناعهم عن إسناد أدوار تليق بتاريخهم وتتواءم ومرحلتهم العمرية، الأمر الذي عدّه بعضهم إهانة لسأراهم الفني ووصفه آخرون بنكران الجميل.

مصطفى عبيد
كاتب مصري

ثمة وقت للراحة والتقاعد والتوقف عن العمل للاستراحة والمراقبة، والخروج من المشهد، فطبيعة الحياة تستلزم التغيير، وإرادة التطور تتطلب التجرد، ولا ثبات لعمل ولا ديمومة لوظيفة. ويبدو ذلك طبيعياً في الوظائف التقليدية، فهناك دوماً سن للتقاعد، يتوقف فيها العامل تماماً عن العمل، مفسحاً مكاناً لموظفين جدد يسعون إلى فرص رزق مماثلة.

غير أن الأمر يختلف كلياً عندما تكون الوظيفة مرتبطة بموهبة بعينها، فعندئذ لا تكون هناك سن محددة للتقاعد، ما يلوح بوضوح في مجال الفن، والذي يشهد في الآونة الأخيرة شكواً متتالية من ممثلين مخضرمين ومكرّسين كانوا في زمن ما ملء السمع والبصر، ويرون الآن أنه يتم تجاهلهم والامتناع عن إسناد أي أعمال درامية أو سينمائية لهم، رغم قدرتهم على العطاء الفني.

كثيرون من هؤلاء انهاروا أزمة حادة في الفضائيات والصحف وعبر وسائل التواصل الاجتماعي خلال الأيام الماضية، بسبب ما اعتبروه تجاهلاً متعمداً من منسجي الأعمال الفنية الجديدة لهم نتيجة تقدمهم في السن، وهو ما وصفوه بنكران الجميل، وإهانة لعطائهم الإبداعي.

شكاوى متكررة

كان لافتاً أن يطل الفنان عبدالرحمن أبوزهرة، البالغ من العمر ستة وثمانين عاماً، شاكياً نبذه من جانب المخرجين والمنتجين وعدم الاستعانة به في أي من الأعمال الحديثة، ما دفعه إلى التصريح بأن مستوى الجحود اتسع في الوسط الفني إلى أقصى مداها، ولن يقبل مرة أخرى إهائته من خلال استعانة بعض الفنانين الكبار به كـ"ضيف شرف".

تكررت الشكوى من فنان آخر كبير، هو رشوان توفيق، والبالغ من العمر سبعة وثمانين عاماً، حيث أكد في مداخلة له مع إحدى الفضائيات قبل أيام، أن هناك تصوراً خاطئاً لدى شركات الإنتاج الفني في العالم العربي، مفاده أن الفنانين غير قادرين على العطاء حال تقدمهم في السن.

وذكر أن هذا التصور الخاطئ يصيب مبدعين كباراً ومنتجين بالحنن والإحباط، ما يؤدي إلى إكتئابهم ورحيلهم بانسيان وحرزاً.

وأكد الفنان حسن يوسف في حوار له مع إحدى الصحف القاهرية في منتصف يوليو الماضي أن هناك قائمة من المبدعين القدامى العاطلين عن العمل لكبر السن، وتلك القائمة تتسع بشكل مطرد، موضحاً أنها تضم ممثلين محترفين عظاماً مثل عزت العلايلي،